

القول بأنه رجلٌ شرٌّ يجب أن يبتز، اذ انه يجوز أن يكون رجلٌ خيرٌ قد
 رغب في خدمة الانسان فعاقبه مضطهدو الانسان بالقتل أو السجن
 وان رأيتم شعباً دُفع مثقلاً بالحديد الى قساوة جلاده فلا تقولوا
 بأنه شعب دموي عكر السلام وأثار الاضطرابات فانه قد يكون صائراً
 الى الفناء لخلاص البشرية تعريب منا صاوه



سِيَّاحَةٌ فِي اسبَانِيَا^(١)

عواصم البلاد ومتاحفها ومعابدها وآثارها - المكتبة العمومية - سراي الملك
 والاصطبلات - زيارة الشاعر روستان في جبال كامبو - مصارعة
 الثيران - لعبة « بلوت باسك »

وعدتكم ووعدهم الحردين، أن أوافيكم ببعض الاخبار عن سياحتي
 في البلاد الاسبانية، وكنت أود كثيراً أن أقوم بالوعد أحسن قيام،
 لولا شواغل كثيرة تحول دون بلوغ المرام، وما أكثر شواغل الايام!
 خصوصاً لمن كان معها في جهاد وخصام... ولكنني بحمد الله قد فزت
 الآن بما أرجو بالرغم من العقبات التي حاول أن يضمها في سبيلي ذوو
 الغايات فأزالها يد الحقيقة ومهدت لي السبيل
 اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأسهل ما يمرُّ به الوحولُ

(١) طلبنا من الاديب الفاضل صاحب هذه المقالة قبل سفره الى اسبانيا ان
 يوافي قراء « الزهور » بشيء عن تلك البلاد التي سطع فيها مجد العرب فأرسل
 الينا في الشهر الفائت هذه الرسالة واعدت ان يتبعها بغيرها

أختلس هذه الفرصة من وقتي لأحرر لكم ما يجول بال خاطر مما شاهدته النواظر فحسى أن يكون به تفكها لقراء « الزهور » واني أعدم بتفصيلات أم وأخبار أم ، عند انهاء سياحتي في هذه البلاد اسبانيا بلاد جميلة تشبه كثيراً جبال لبنان بحسن مناظرها وعوده مائها وأخلاق رجالها وخلق وعادات نساءها . ولكنها أكثر منه عمراناً ، وجبالها أقل منه وهادأ ، وبعضها قاحل وأغلبها تكسوه الخضرة الجميلة والاشجار الباسقة وأكثرها من صنف الحور والسنديان والزيتون والصنوبر . وقد يستخرجون من هذا الشجر الاخير المادة الصمغية الموجودة فيه ، ويبيعونها بأسعار غالية . أما في بلادنا فلا يستفيد الاهالي شيئاً تقريباً من شجر الصنوبر مع كثرة وجوده

برشاونة : مدينة جميلة جداً وفيها كثير من البنايات البديعة ، وشوارعها في غاية الاتقان والانتظام ، ومركزها الطبيعي أشبه شي بمركز مدينة بيروت ، تبتدي بناياتها من المرفأ وتنتهي بعلو متتابع الى جبل عال يحيط بها عن قرب . وفي أعلى ذلك الجبل أقامت شركة انكليزية بنايات بغاية الاتقان وفنادق وقهوات وتياترات وكنائس ومحلات ألعاب مختلفة وقد سموا تلك القمة Tibidabo إشارة الى ذلك الجبل العالي الذي صعد اليه الشيطان وقال للسيد المسيح : انظر الى هذه الممالك التي تحت سلطتي . الخ حينما أراد استغواه كما جاء في الانجيل . وفي الحقيقة إن المنظر من ذلك العلو الشاهق من أبداع ما يمكن أن تتصوره الافكار . ومنه تشاهد شوارع البلدة في غاية التنسيق والإبداع تكتنفها الاشجار

من الجانبين بكمال الترتيب . وطريقة الوصول الى ذلك الجبل بواسطة سكة حديد فينيكيلير (Funiculaire) كهربائي جليل الفائدة لانه يسير بواسطة تكافؤ القوى ، فعند صعود القطار يوجد قطر آخر ينزل والواحد متصل بالثاني بواسطة شريط واحد . وحين الوصول الى منتصف الطريق يفرقان بواسطة شريط خصوصي وهكذا يأخذ كل منها طريق الآخر ، فيصل الصاعد والنازل في آن واحد والمسافة التي يقطعها ذلك الفينيكيلير هي ١١٨٠ متراً

وبرشلونة هذه بلدة تجارية كثيرة المصانع والمعامل وأهلها أكثر شدة وحماسة من أهالي العاصمة . ولذلك ترى عدد الثوروين في برشلونة أكثر بكثير منه في مدريد . ويوجد فيها كما في كل اسبانيا تقريباً عدد كبير من الكنائس الضخمة الكثيرة الاتقان الدالة على ما وصلت اليه عظمة الدين في الايام السالفة في هذه البلاد . وأهم الكنائس التي شاهدتها هي في برشلونة وسراجوسا (سرقسطة) و بَرُجُس ودير الاسكوريال الشهير بضواحي مدريد الذي فيه پانتيون ملوك اسبانيا وعظاء رجالها وسوف يأتي الكلام عن ذلك . وأما عموم هذه الكنائس فهي أشبه بقلاع متينة ومعارض ومتاحف عظيمة لكثرة ما تحويه من التماثيل والصور البديعة وعواميد الذهب الضخمة والآنية الفاخرة والآثار التاريخية الجليلة . وأما الاندلس ففيها من الجوامع والآثار العربية العظيمة ما سوف تأتي على ذكره بعد

مدريد : عاصمة الاسبان مدينة جميلة أيضاً تمتاز خصوصاً بمعرض

التصوير العظيم الموجود فيها ، ويحتوي على أبداع ما خطته ورسمته أيدي
البارعين في هذا الفن الجميل . واكبر البنايات التي شاهدتها بعد قصر جلالة
الملك هي البنك الاسباني الملوكي والمتحف ودار الكتب الوطنية . وهما
بناية واحدة وقد زرتها وسررت كثيراً بما شاهدته في المكتبخانة الوطنية
من الكتب العربية القديمة . وأما مكتبة دير الاسكوريال فهي أهم من
مكتبة مدريد وقد عثرت أثناء مطالعتي فيها على الايات الآتية التي أنقلها
لقراء « الزهور » من باب التفكهة

أحنُّ الى عتابك غير أني أجلك عن عتابٍ في كتابٍ
ونحن اذا التقينا قبل موتٍ شفيتُ عليك قلبي بالعتابِ
وان سبقتُ بنا أيدي المنايا فكم من عتابٍ نحت الترابِ
كتبت ولو قدرتُ هوى وشوقاً اليك لكنت سطرّاً في الجوابِ
غيره :

يا رب ان لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن فرجٌ من طول جفوته
فأشف السقام الذي في طرف مقلته وأستر ملاحه خديه بلحيته
غيره :

أغر عليها من أيها وأمها ومن كل من يرنو اليها ويبصرُ
ومن حملها المرأة يوماً بكفها اذا نظرت فيها الذي أنا انظرُ
غيره :

حمت مقلناها مقلتي من الكرى فعبني لما ألقاه لم تعرف الغمضا
سهرتُ وأجفاني صحاحٌ فلم أنمُ ونامت ولم تسهر واجفائها مرضى
غيره :

بديعة حسنٍ تخجل البدر بهجةً ونسي قلوب العالمين بلحظها

تصامتُ قصداً كي يطول حديثها فيطرب سمعي عند تكرار لفظها
غيره :

وظية أسبي الوري طرفها وحسنا قد حير الناظرين
قد كتب الحسن على خدها انا فتحنا لك فتحاً مبین
تخاطب الناس على رفعةٍ كأنها موسى على طور سين
يا قلب ان ملت الى غيرها ما انت الا في ضلالٍ مبین
غيره :

ثلاثٌ هنّ في البطيخ فخرٌ وفي الانسان منقصة وذلة
خشونة جلده والثقل فيه وصفرة لونه من غير علة
وكثيرٌ من هذا القبيل مما لا محل لذكره الآن

وأما القصر الملوكي فهو أكثر جمالاً وعظمةً داخلاً وخارجاً من سراي عابدين بمصر . وقد زرت ذلك القصر الجميل بتصريح خصوصي في صحبة نجل الجنرال ميلانس دلبوش قائد فرقة الخيالة والصدیق الحميم لجلالة الملك . وهو قائم على رأس رابية في الحد الغربي من المدينة . وعلى الجانب القبلي توجد الاصطبلات والعربخانات الملوكية ، وقد زرتها أيضاً ودُهِشت كثيراً لما فيها من العظمة والغنى . فان في الاصطبل الملوكي ١٥٤ حصاناً من جياذ الخيل بعضها للحفلات الرسمية وبعضها للأيام العادية والبعض الآخر للحاشية الخاصة ، وقسم كبير من الخيل مُهدىً الى جلالة الملك من الجمهورية الفضية وملك انكترا وبعض الأمراء . وأما العربات فهي على جانب كبير من العظمة ، أغلبها محلي بالذهب ومكسو بالحريز الغالي والبرونز الثمين ، والعربات الليلية مصفحة داخلاً بالحديد

حذراً من طواريء الفوضويين حتى ان الديناميت لا يكاد يؤثر فيها
وهناك عربات ملوكية من نحو أربعين سنة ، وهي كأنها مصنوعة
حديثاً لكثرة الاعتناء بها . وأجمل عربة هي عربة مصنوعة كلها من
الابنوس الجميل ومشهورة باسم عربة (Jeanne la Folle) التي فقدت
شعورها حزناً على زوجها (Philippe le Beau) ويقال ان حكومة إنجلترا
دفعت لحكومة اسبانيا مئة مليون فرنك لتبيعها هذه العربة حرصاً على
تاريخها وقدميتها فرفضت . وأما الرياش الجميلة المتنوعة الاشكال والالوان
والعدد والاسلحة التابعة للاصطبل فحدث عنها ولا حرج فهي على جانب
عظيم من الاهمية

وفي صدر السلم الاول من الاصطبل يوجد صورة كبيرة تمثل جلالة
الملك راكباً على جواده ، والقواد والامراء يحيطون به وجواده مكسو
بالشراريب العربية كأنه أمير من أمراء العرب الاقدمين
وفي آخر المدينة من الجهة القبليية أنشأت الحكومة حديثاً حديقة
كبيرة مترامية الاطراف جميلة التنسيق شوارعها أشبه شيء بملتوياتها
بشوارع (Garden City) التي حلت محل القصر العالي بمصر الآن وهو
ما يسمونه (Art nouveau)

وهذه الحديقة الغناء كثيرة المرتفعات والمنخفضات تكسوها الخضرة
الجميلة وتعلوها الاشجار الباسقة وتخللها جداول كثيرة من الماء في غاية
التنسيق والابداع

والمقاعد كثيرة لانها محل نزوة مشهور يقصدها أغلب العائلات

وخصوصاً الاولاد . وعلى جانبي هذه الحديقة شارعان كبيران تسير فيهما المركبات والسيارات . وفي أغلب المواقف ترى تماثيل لطيفة لبعض مشاهير رجال الاسبان . وفي الآخر تقريباً قامت قبة جميلة الصنع تحيط بها من الجهات الاربع عواميد الرخام العظيمة ، وفي أعلاها الكرة الارضية وفوقها غادة حسناء حاملة اكليلاً من الفار ولوحة منقوشة مكتوباً عليها « الوطن » باحرف ذهبية كبيرة

ويتراى للمتأمل في هذه الحديقة الغناء وما هي عليه من الكبر مع كثرة منخفضاتها ومرتفعاتها وتكاثف اشجارها وكثرة جداولها واخضرار ارضها انه في جبال كامبو اللطيفة الشهيرة في فرنسا وهي موطن الشاعر الشهير ادمون رويستان . وقد زرته اخيراً في قصره الجميل فقابلني بمزيد الاكرام واهدى اليّ بعض مؤلفاته وكتب عليها تذكراً جميلاً . وقصر ذلك الشاعر الطائر الصيت قائم على رأس جبل عال تحيط به اشجارٌ كثيفة في حديقة غناء بديعة الاتقان كثيرة الازهار ، وفي وسطها بحيرة كبيرة تحيط بها التماثيل الجميلة ، وعلى الجانبين مساكن الطيور المختلفة الاجناس والطاووس بريشه الجميل يسرح بين تلك الازهار . ولا بدع ان خطت يد ذلك النابغة ابداع الاشعار وجادت قريحته باحسن الافكار لان الجالس في مكتبه الفاخر يشاهد من جمال المناظر الطبيعية ما يعجز عن وصفه ابلغ الاقلام

ويظهر ان لمدام رويستان فضلاً عظيماً في مساعدة زوجها في مؤلفاته الجميلة ولها ايضاً عدة مؤلفات شخصية تشهد لها بطول الباع وعظم

الاقتدار في النظم والكتابة

ويوجد تشابه كبير ايضاً بين اخلاق اهالي تلك الجبال المعروفة
بجبال الباسك واخلاق اهالي اسبانيا عموماً . فان لكلا الشعبين ورعاً
شديداً في الدين وشغفاً عظيماً بكل ما فيه اجهاد القوى البدنية وفنون
الفروسية . واعظم ما يشتهي الرجل والمرأة والفتى والفتاة هو ان لا يفوتهم
مشهدٌ من مشاهد مصارعة الثيران التي يحتفل بها في كل مدن اسبانيا
تقريباً وجبال الباسك ايضاً مرة او مرتين في الاسبوع

ولهذه الحفلات بنايات خاصة من انجم البنايات الموجودة في هذه
البلاد . ففي سان سبستيان مثلاً بنيت حديثاً لمصارعة الثيران من
ابدع البنايات وهي تفوق بكثير كل التيارات ومحلات اللهو الموجودة
وتعدّ بعد الكازينو الكبير وقصر ميرامار الشهير أحسن بناية هناك .
وقد حضرت تلك الحفلة مراراً ولا أبالغ اذا قلت انه في كل مرة لم يكن
هناك أقل من عشرة آلاف نفس او اكثر بالرغم من علو اسعار
الدخول التي تتفاوت بين ٣ و ٢٥ فرنكاً للشخص الواحد ومثي فرنك
اللوجات ، ما عدا الجند فان له محلات مخصوصة بسعر فرنك ونصف فقط
وقد شاهدت بعيني في حفلة واحدة قتلة ستة من فحول الثيران بعد
عراك عظيم ومحاورات مؤثرة مع المصارعين . وقد شقت بطون اثني
عشر حصاناً بقرون الثيران ، ووقعت اشلاؤها على الارض وكان الفارس
يضرب الثور برمحه ويفرسه في ظهره والدماء تسيل منه بكثرة ، وصياح
الابتهاج ، والتصفيق من الرجال والنساء يتصاعد كل مرة كان الثور يرفع

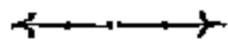
بقرنه الحصان وقارسه فيقع الحصان صريعاً والفارس مجندلاً على الارض .
وكذلك حينما يتمكن أحد المصارعين من ان يفرس في ظهر الثور او في
رأسه حربته فيجندله قتيلاً كان الشعب يحى ذلك المصارع الشجاع
بالتهليل ويرميه بالقبعات والمناديل . وهناك خدمة مخصوصون لارجاع
كل ذلك لاصحابه . وحينما كان الثور يهاجم المصارعين فيهربون ويقفزون
من فوق أسوار الخشب كان الشعب يقابهم بالصفير وأصوات الخزي والعار
ولقد سبق واعترض كثيرون على هذه الالعب شفقة على الخيل
كي لا يعرضوها للقتل بمثل تلك الطريقة الشنعاء ، ولكن يظهر انه لا بد
من هذه التضحية لان المصارعين لا يقدرون ان يقربوا الثور قبل ان
يكون نطح بقرنه الحصان مرتين او ثلاث ورفعه بقارسه عن الارض ،
فعند ذلك تخور عزيته وتضعف قوى رأسه خصوصاً ويسهل على الفارس
صرعه من غير خوف تقريباً

واما لعبة البلوت باسك (Pelote Basque) التي يعرفها المصريون
فهي في اسبانيا وخصوصاً في برسلونة مثل بورصة الاسكندرية وبورصة
مصر ايام عزها القديم . فانهم يعتنون كثيراً بالمراهنات فيها وبطريقة
رسمية كأنهم في بورصة تجارية قانونية ورسم الدخول اليها ثلاثة او اربعة
فرنكات

ومن غريب ما سمعته عن هذه البلاد هو انه يوجد بعض أديرة
للرهبان تتعهد بان تضع تليداً في احدى المدارس الداخلية او شيخاً في
احد ملاجئ العجزة مقابل مليون ورقة من ورقات الترامواي المستعملة

او خمسمائة الف ورقة من ورقات الاعلانات المنتشرة واربعمائة الف عود
كبريت من العيدان المستعملة وهلم جرا على حسب أهمية الاشياء التي
يقدمونها لها . ولذلك ترى كثيراً من النساء والبنات والاولاد يجمعون
مثل هذه الاشياء لتقديمها لتلك الاديرة طمعاً بعمل الاحسان او
للاستفادة شخصياً

ولم أجد بلاداً في اوربا يجلس بها القسوس في القهوات ويفاازل
الجنود النساء مثل اسبانيا فاني في كل المحلات العمومية التي قصدتها كنت
أجد عشرات من الجنود برفقة حلياتهم او خلياتهم يفازلهن علناً بكل
احتشام مدريد ١٥ اغسطس ١٩١١ نجيب زلزل



ابن اريد بيتي

اريد بيتي هناك عند منحدر الراية ، تحت الاشجار المنخفضة ، مثل
عش المصفور المبني في وسط غيضة من الزعرور المتف فلا أحوطه
بالفنادق الكبيرة ولا بالبساتين الواسعة بل بالزهور ، تلك العطية السماوية
الجميلة تكون منشورة في كل جوانبه ، والكرمة البتول تبسط عليه في
الربيع ستاراً اخضر واسعاً لترد عنه حرارة الشمس

اما بيتي هذا فلا اریده يترأى في مياه نهر كبير ، بل يكفيني غدير
صغير صاف ينساب فوق سرير لؤلؤ من الحصى ، ويمر تحت نوافذي ،
فأقعد ساعات طويلة اسمع انينه اللطيف واصغي الى الاصوات الخفيفة
المسلية التي تصعد من المياه غير خائف ان تنقطع سلسلة تأملاتي او ان

أهوب بحركة غريبة . واما افقي فارضاه عليقة تأتي الاولاد فتقطف ثمارها
 فاذا كان بيتي كذلك فحدث ولا حرج عمن يقاسمني وحدتي من
 الطيور التي تلذ معاشرتها ، فتأتي السنونو في الربيع فتسلم على بيتي بزقزقتها
 المفرحة وتطلب فيه منزلاً فتحل فيه على الرحب والسعة وتكون احسن
 جليس وخير انيس ، ثم يفد البلبل الغرد ويلتجى الى غياضي المنفردة في
 عشيات الصيف الجميلة ويقوم طويلاً مترنماً بنغماته الشجية الملائكية فلا
 اضيع منها نفمة واحدة

فهنالك - اذا تم لي ذلك - في وسط تلك الوحدة اللذيذة التي
 يؤنسها حفيف الاشجار وتغريد الاطيوار وخرير الانهار ، هنالك هنالك في
 وسط تلك الطبيعة الساكنة البعيدة عن شر الانسان اقضي حياتي
 بهدوء مسامراً المصافير ومغازلاً جمال الطبيعة وممجداً الخالق العظيم
 ومنتظراً ملاك الموت
 فيليب الجميل

في رياض الشعر

(ابناء الحكماء)

أتقضي معي إن حان حيني تجاربي وما نلتها إلا بطول عناء
 وبجزني أن لا أرى لي حيلة لاعطائها من يستحق عطائي
 اذا ورث المثلون ابناءهم غنى وجاهاً فما اشقى بني الحكماء
 مهنى ناصف